المجلة الدولية للإتصال الإجتماعي
جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم
ISSN: 2437 – 1181
EISSN: 2710-8139

المجلد 10 / العدد: 01 (2023)، ص 258 – ص 277

تحديات وسبل امتهان الصحافة الاستقصائية

Challenges and Ways of Doing Investigative Journalism

خنفي سامي*[1]، قراندي سعاد [2]

[1] جامعة سكيكدة (الجزائر) ، s.khenfi@univ-skikda.dz

[2] جامعة قسنطينة 03 (الجزائر) ، souadgrandi@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/02/15 تاريخ القبول: 2022/10/02 تاريخ النشر: 2023/03/31

DOI: 10.53284/2120-010-001-016

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى بعث الملامح والمبادئ العامة التي تنهض بها الصحافة الاستقصائية مرورا بنشأتها وتطورها حيث تعتبر متطلبات الصحافة الاستقصائية من بين أهم الركائز التي تتيح من عملية التمكن منها وهذا بالوقوف أيضا على واقعها في ظل عصر التدفق المعلوماتي وكذا في العالم العربي، ليكون بذلك عامل التركيز على مراحل العمل الاستقصائي بأنواعه جوهر العمل الصحفي بها.

كلمات مفتاحية: الصحافة الاستقصائية، الصحافة المتخصصة، تحديات

Abstract:

The purpose of this research is to share the general characteristics and concepts that the investigative press encourages in its establishment and development. Investigative journalism's criteria are one of the most critical cornerstones for its success. This is also to determine its reality in the information age, as well as in the Arab world, by concentrating on the stages of investigative work of its kind on the essence of journalism. The purpose of this research is to share the general characteristics and concepts that the investigative press encourages in its establishment and development. Investigative journalism's criteria are one of the most critical cornerstones for its success. This is important to establish its realism in the context of the time.

Keywords: Investigative journalism, specialist journalism, challenges

*المؤلف المرسل :

1.مقدمة :

يرتبط ظهور الصحافة الاستقصائية مع بداية تطور مفهوم الصحافة ودورها في المجتمع واتجاهها إلى الإبراز والتركيز والتحري عن قضايا معينة تحدث في المجتمع، خاصة جوانب الانحراف والفساد ونتيجة لذلك سمي محرروها بالمنقبين عن الفساد؛ حيث اعتمد الصحفيون المختصون في الاستقصاء في حركتهم الصحفية على نشر التحقيقات الصحفية الكاشفة المبنية على وثائق رسمية خاضعة لمراقبة الخبراء، فبرزت حركة المنقبين عن الفساد كقوة مهمة عام1906 إذ يعود الفضل إليها في العديد من الإصلاحات التي تمت في المجتمع الغربي، ما جعلها تبرز كحاجة لإجراء المزيد من الأعمال الصحفية الكبرى التي تتطلب تحقيقات وقصص استقصائية تعالج ما كان مستورا وتفضح قضايا سياسية واقتصادية واجتماعية عدة تمس الصالح العام وتخل بنظامه فمثل هذه الاستقصاءات تسعى للإصلاح بغية السير بالمجتمع وصناع القرار فيه نحو ماهو أكثر وأقرب إلى الموضوعية والحقيقة.

ويعتبر امتهان الصحافة الاستقصائية بالعالم العربي حديث العهد مقارنة بدول العالم التي تشجع على حرية التعبير وإبداء الرأي ونشر الوقائع دون تزييف لمجريات الأحداث والتي منها ما تلقى متابعة وقبول لتتطور لقضايا رأي عام وعلى غرار الصحافة الجزائرية التي تحاول هي الأخرى جاهدة إلى بعث ركائز عمل تدفع بالصحفيين إلى معالجة القضايا وفقا للمعايير الأخلاقية والمهنية للصحافة الاستقصائية، نجد في المقابل من هذا بعض الذهنيات المؤيدة للمصالح الشخصية والمناهضة لتعديل النظام الاجتماعي والانفتاح على تعدد الاتجاهات وقبول الأخر بحسب ما يقدمه من منفعة عامة مهما كان القطاع الذي ينشط فيه، جعلها تحول دون بلوغ هذه القضايا والكشف عنها وهو عمود تطبيق الصحافة الاستقصائية ما يضعها في موضع المكابد لإيجاد سبل تمكنها من امتهان هذا النوع من الصحافة.

تلمسا لهذا الطرح نجد أن أهداف هاته الورقة البحثية تتمحور حول الوقوف على التحديات التي تواجه ممتهني الصحافة الاستقصائية وسبل تذليلها من خلال تشخيص واقعها بالمجتمع الجزائري ومحاولة الاستفادة من عرض تجارب سابقة لقضايا ومواضيع تناولتها الصحافة الاستقصائية وكيف تمت معالجتها.

2.مدخل مفاهيمي

1.2 مفهوم الصحافة الاستقصائية:

يعرفها **رئيس المركز الدولي للصحفيين "ديفيد نابل"**بأنها: ''سلوك منهجي ومؤسساتي صرف، يعتمد على البحث والتدقيق والاستقصاء حرصاً على الموضوعية والدقة وللتأكد من صحة الخبر، وما قد يخفيه انطلاقاً من مبدأ الشفافية ومحاربة الفساد، والتزاما بدور الصحافة ككلب حراسة على السلوك الحكومي، وكوسيلة لمساءلة المسئولين ومحاسبتهم على أعمالهم، ووفقاً لمبادئ قوانين حق الاطلاع وحرية المعلومات.(الحمداني، 2012، صفحة 23)و"الصحافة الاستقصائية تشمل كشف أمور خفية للجمهور، أمور إما أخفاها عمداً شخص ذو منصب في السلطة أو اختفت صدفة خلف ركام فوضوي من الحقائق والظروف التي أصبح من الصعب فهمها، وتتطلب استخدام مصادر معلومات ووثائق سرية وعلنية، وهي الصحافة القائمة على المعلومات والحقائق بإتباع أسلوب منهجي وموضوعي بهدف كشف المستور وإحداث تغيير للمنفعة العامة ".(الطراونة، 2014، صفحة 38)

من خلال هذا التعريف يتضح أن لنا شيئين أساسيين حاول **رئيس المركز الدولي للصحفيين "ديفيد نابل"** التركيز عليهم وهما سلوك منهجي مؤسساتي صرف وهذا في إشارة إلى أن ممتهنها لا يكفيه أن يملك صفة صحفي ناشر بل يتعدى لكون أكاديمي يتقن أبجديات الخبر الصحفي وفنونه الأخرى حتى يكون سلوكه في التحري سليم بعيد عن الذاتية والتسرع كما أشار لنقطة المؤسساتية ليحيلنا على أن القضايا المدروسة ليست عشوائية وإنما تخضع لأجندة مدروسة مسبقا وفق أهداف تلك المؤسسة الإعلامية مع الإشارة لشروط التحري كالمصداقية والأمانة في تناول مجريات القصية.

وتعرفها**جامعة سيتي** على أنها" الصحافة التي تهدف إلى الكشف عن الفساد والظلم وسوء الإدارة وتسعى إلى خدمة المصلحة العامة وهي تقوم على الحفر عميقا في القضايا التي تهم المجتمع لكشف حقائق موثوقة يريد شخص ما أن تبقى سرية وعرضها من دون خوف أو محاباة". (الحمداني، 2012، صفحة 25)

هذا التعريف لجامعة "سيتي" يسلط الضوء على المضامين التي تعمل عليها وقد اشار الى قضايا الفساد وسوء التسيير تمس بالصالح العام. بل تمتد إلى ما يهم الجمهور من قضايا صحية وبيئية وتعليمية، وقضايا حماية المستهلك، وتجار المخدرات ومهربي الأدوية الفاسدة، وقضايا الجرائم الغامضة، وجرائم غسيل الأموال وغسيل السمعة لرجال الأعمال المنحرفين. التحقيقات الاستقصائية investigativejournalism هي أعلى مراتب المهنية الإعلامية".(الصحافة الاستقصائية هي جوهر العمل الصحفي، لكنها تتطلب كثيرا، بلا تاريخ)

ولكن في نفس الوقت هي أصعبها.. والصحافة أو الإعلام الاستقصائي هو الذي يحدد قوة ومكانة الإعلام في أي مجتمع.. ويجسد التحقيق الاستقصائي دور السلطة الرابعة لوسائل الإعلام في المجتمعات، أو ما يمكن تسميته بوظيفة المراقبة التي تنتهجها وسائل الإعلام في إطار من الاحترافية المطلوبة من مؤسسات الإعلام.

وحتى يتعرف جميع القراء على مفهوم الصحافة الاستقصائية يمكن أن نحيلهم إلى ما بثته قناة الجزيرة برنامج وثائقي بعنوان ''ماذا قتل عرفات؟ ''وفيه تشير الدلائل إلى أن قتله كان نتيجة إشعاعات من البولونيوم تم حقنها أو تغذيتها في جسد الرئيس ياسر عرفات، وثبت ذلك من خلال فحص عينات من ملابسه ومقتنياته الشخصية التي كانت تحتفظ بها زوجته سها عرفات منذ ثماني سنوات. وهذا النوع من التحقيقات هو ما نسميه بالصحافة أو الإعلام الاستقصائي...(وايس، بلا تاريخ)

نخلص إلى أنّ ما تم عرضه من مفاهيم عن الصحافة الاستقصائية تشترك في جلها أنها ليست تغطية عاديةتقوم على التنقيب عن الفساد ومتابعة الفاعلين في جل المجالات تتطلب استخدام مصادر معلومات ووثائق سرية وعلنية تحافظ على سلامة مصادرها في الوقت الذي قد يتعرض معدوها من الصحفيين للخطر.

3.نشأة وتطور الصحافة الاستقصائية:

صحافة التقصي أو الاستقصاء أو العمق هي مصطلح عمره يزيد على نصف قرن في دول العالم المتقدم، وتحديدًا في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، وهو يعني: (سبر أغوار الظواهر المجتمعية المختلفة سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية، ومحاولة الوصول إلى عُمقها عن طريق الاستبيان أو دراسة البيانات المتوفرة أو التحقيقات الجنائية أو الحسابية. (مركز الباحث العلمي).

وقد ظهرت الصحافة الاستقصائية مع بداية تطور مفهوم ودور الصحافة في المجتمع واتجاهها في الإبراز والتركيز والتحري عن قضايا معينة تحدث في المجتمع، خاصة جوانب الانحراف والفساد ونتيجة لذلك سمي محررو هذا اللون بالمنقبين عن الفساد، وقد

أطلق هذا الاسم على مجموعة من الصحفيين الذي قادوا حملات صحفية مهمة ضد الفساد، واعتمد هؤلاء الملقبون بالمنقبين عن الفساد في حركتهم الصحفية على نشر التحقيقات الصحفية الكاشفة المبنية على وثائق رسمية وخاضعة لمراقبة الخبراء.

وبرزت حركة المنقبين عن الفساد كقوة مهمة عام 1906، وقد تأسس اتحاد المندوبين والمحررين الاستقصائيين في أمريكا عام 1976 كجماعة صحفية لا تهدف إلى الربح، حيث تأسس الاتحاد على يد مجموعة من المحررين الاستقصائيين بهدف تشجيع الصحافة الاستقصائية وتنميتها.

وقد أطُلق هذا الاسم على مجموعة الصحفيين الذين قادوا حملات صحيفة مهمة ضد الفساد خاصة عام 1901، حين أدى التوسع الصناعي السريع بعد الحرب الأهلية إلى الكثير من أنواع الظلم وكانت الاحتكارات موضع قلق عام، ورأى فيها بعض المراقبين تحالفا غير سديد بين التجارة والسياسة.(الحمداني، 2012، صفحة 37) ثم بلغت قمة النجاح عام 1911، لكنها تبددت عام 1912 حيث بدأ الجمهور يبتعد عنها وكذلك تعرضت الصحف لكثرة الضغوط المالية، مما أدى إلى اختفاء هذا اللون من الصحافة.

وتستخدم الصحافة الاستقصائية الآن بشكل متسع في مجالات كشف الفساد في المجتمع وتقديم الرؤية الاستقصائية الشاملة التي لا تستطيع أن تقدمها وسائل الإعلام الأخرى، وقد صاحب هذا نمو متزايد في توظيف الحاسبات الالكترونية لأغراض تصنيف المعلومات والبيانات الكثيرة التي يحصل المحررون الاستقصائيون عليها، وتحليلها بشكل يساعدهم على الوصول إلى خلاصات كمية دقيقة.(حمود، 2011، صفحة 42)

وقد أصبحت اليوم المنافسة قوية على الصحافة الاستقصائية، في جميع الصحف الأمريكية الكبرى والصغرى التي يوجد بها أقسام وفرق عمل استقصائي، بل عن بعض الوكالات الصحفية الكبرى مثل وكالة "**اسوشيتدبرس**" التي استحدثت مؤخراً قسماً خاصاً بالتحقيقات الاستقصائية.

ويرجع إلى هذا النوع من الصحافة الفضل في العديد من الإصلاحات التي تمت في المجتمع الغربي، حيث مع مطلع السبعينيات من القرن العشرين بدأت الصحف الأمريكية بشكل متزايد في تشجيع المحررين ذوى الخبرة على التحرر من القصص الروتينية حتى يستطيعوا معالجة القضايا والموضوعات ذات المغذى التي تتطلب وقتا أكثر وخبرة، حيث لعب المراسلون أدوارا حاسمة في كشف ما يُعرف فيما بعد بأخطر فضيحة في فترة ما بعد الحرب الثانية حيث تابع الصحفيون في واشنطن قرائن خلفتها سرقة في مبنى للمكاتب في "**ووترجيت**" وواصلوا تحرياتهم إلى أن أوصلتهم تحرياتهم إلى البيت الأبيض، وقد دفعت التقارير الإخبارية الخاصة بالسرقة، الكونجرس الأمريكي إلى بدء تحقيقات أدت في نهاية الأمر إلى استقالة الرئيس الأمريكي،"**ريتشارد نيكسون**"من منصبه بعد إدانته هو وكبار معاونيه عام1974، وأشهر المحررين الذين قاموا بالتغطية الاستقصائية، كلا من Ward Cary Bernstein, Bbwood , بجريدة الـ Washington Post.

وأصبح هناك منظمة أو صندوق مستقل هو Fund Of InvestigativeJournalism، يموله المؤسسات والأفراد، وقد نجح هذا الصندوق في تمويل أكثر من 60 مشروع تغطية استقصائية خلال الفترة من سبتمبر عام 1971 وحتى سبتمبر 1973،(أبو حشيش و ساق الله، 2013، صفحة 4)وفي عام 1976 تأسس اتحاد المندوبين والمحررين الاستقصائيين "Investigative Reporters & Editors" IREكجماعة صحفية لا تهدف إلى الربح، وذلك على يد مجموعة من المحررين الاستقصائيين بهدف تشجيع الصحافة الاستقصائية وتنميتها, وخطط لتطوير مركز للموارد يضع خدمات ونشرة

إخبارية عن الموضوعات الاستقصائية إلى جانب دليل للخبراء وبعض الخدمات الأخرى, ومع نهاية عام 1976 شكلت الجماعة فريق عمل صحفي بقيادة محرر جريدة **Newsday** الشهير **Robert Green** لإجراء تغطية استقصائية عن الجرائم التي أدت إلى اغتيال**Ballston**محرر جريدة **Arizona Republic** الذي كان يقوم باستقصاء نشاط الجريمة المنظمة في ولايته" أريزونا"، حيث وضعت قنبلة في سيارته، ومنذ ذلك الوقت يتعرض الصحفيون المنقبون عن الفساد للخطر من أجل تعزيز الشفافية والحكم المسئول والتصرف المشترك والحد من الفساد، وقد اغتيل ثمانية وستون صحفيا عام 2001ويرجع سبب اغتيال خمسة عشر صحفيا منهم إلى أعمال استقصاء عن قضايا الفساد وهذا رقم ينذر بالخطر.(حامد، د.س)

4.متطلبات الصحافة الاستقصائية:

أبرز النقاط المهمة (والتي أكدت عليها منظمة الشفافية العربية) كصيغة مرضية لصحافة عربية تواجه الفساد وهي:

- القيام بعملية مراجعة شاملة للقوانين المختلفة المتعلقة بتقييد الحريات وإلغاء قوانين المطبوعات المقيدة للحريات، وتبني حملات وطنية لإقرار قانون حرية الوصول إلى المعلومات.
- حملات توعية للمجتمع المدني بضرورة حرية الصحافة، وبالتالي خوض معركتها، لكونهما يمثلان حلفاً واحدا.(عوض، بلا تاريخ، صفحة 8)
- حث القطاع الخاص على إصدار الصحف لكونها خط دفاع مهم ضد الفساد الذي يشوه العملية الاقتصادية ويوجهها نحو الاحتكار، والربح غير المشروع في كثير من الأحيان.
- فك الارتباط بين الصحافة والحكومات بتضمين القوانين المدنية مواد تمنع الحكومات من التملك في الصحافة.
- الحث على تأسيس نقابات وتجمعات تدافع عن الصحفيين وتقوم بالتعاون المشترك بين النقابات العربية والأجنبية في هذا الأمر.
- ترويج للصحافة الاستقصائية بوصفها الأهم في فضح قضايا الفساد في المجتمع.
- إقرار قوانين تشجع المنافسة وتمنع الاحتكار في السوق الإعلامية.
- العمل على إقناع المؤسسات الصحفية بتخصيص صفحات لمتابعة قضايا الفساد، وحث مؤسسات المجتمع المدني والقطاع الخاص على دعم صحف متخصصة في محاربة الفساد.
- تخصيص جوائز سنوية لأحسن موضوعات عن محاربة الفساد، أو لأشخاص يحاربون الفساد،و يتفرغون لمواجهة هذا الوباء الذي يفكك المجتمع ويسبب نتائج مريعة لجميع مجالاته و قطاعاته.
- تشجيع عقد دورات لتدريب الصحفيين على الصحافة الاستقصائية المتخصصة وسبل كشف قضايا الفساد الخطيرة في المجتمع.(عوض، بلا تاريخ، صفحة 9)

5. قواعد الصحافة الاستقصائية:

- انتقاء الأخبار والانطلاق من خبر حقيقي قيم بعيداً عن الخداع والأكاذيب والقصص المزعومة.
- يتعين على الصحفي الاستقصائي أن تكون عيناه وأذناه مفتوحتين دوماً، لالتقاط كل خبر وكل معلومة، ويجب عليه أن يستمع لكل ما يدور حوله، ولا يدع أي قصة تفلت منه.
- جمع الحقائق المخفية ذات الصلة بموضوع الاستقصاء والتأكد من صحتها.

- ربط الحقائق بعضها ببعض، والتأكد من أنها تشكل معاً أمراً ذا قيمة ومعنى.(أبوزيد، 1998، صفحة 67)
- ضرورة التحقق من الوقائع والمعلومات والتأكد من صحتها، ويجب على الصحفي الاستقصائي أن يعلم أن تلقي المساعدة في الصحافة الاستقصائية غير متوقع؛ لذلك يجب الابتعاد عن استخدام أية واقعة إلا بعد التأكد جيداً من صحتها ودقتها.
- يتعين على الصحفي الاستقصائي الاعتماد على أدلة متعددة وملموسة في ذات الوقت، وألا يقتصر على جمع الحقائق، بل يجب جمع الأدلة التي تدعم هذه الحقائق وتؤكدها.
- يجب الحفاظ على سرية المصادر وحمايتها ما دام ذلك ممكناً.
- لا يجب أن يقف الصحفي الاستقصائي صامتاً إذا ما تلقى تهديداً، حيث إن كثيرين من المعنيين بتقييد الصحافة الاستقصائية سيسعون لوقف الصحفي الاستقصائي عن إنجاز مهمته، وقد يتلقى في هذا الصدد تهديدات عدة، ومن الضروري إبلاغ المؤسسة، وتقاسم عبء القلق معها؛ حيث سيشكل ذلك حماية إضافية، عدا عن إمكانية الاستفادة من الشاهد على التهديدات في القصة عند إنجازها.

تعمل الصحافة الاستقصائية في إطار القانون، وخلافاً لرجال الشرطة لا يمكن للصحفي الاستقصائي أن يستمع لمكالمات الآخرين، أو أن يسجلها دون علمهم، ولا يمكنه دخول مباني دون موافقة مالكيها أو ضد رغبتهم، ويجب أن يعمل الصحفي الاستقصائي في حدود القانون، وأن يبتعد عن استخدام الأساليب غير الأخلاقية للحصول على معلومات.(أبوزيد، 1998، صفحة 68)

6. أهمية الصحافة الاستقصائية:

تنبع أهمية الصحافة الاستقصائية من الوظيفة التي تؤديها، فهي تعد:

- جزء من العمل الرقابي التخصصي، الذي ممكن أن يصنع رأي عام بين الجمهور خاصة إذا تبنى نتائجه بعض الجهات السياسية ووسائل الإعلام.
- كاشفة لجرائم وفضائح وفساد الساسة والمسئولين، ويقال في الغرب: (أن للصحافة الاستقصائية قدرة لا تضاهى على ربط مسئولين بجرائم معينة).
- أداة للوصول للحقيقة (من مصدرها الأصيل)، والوقوف على صدقها من كذبها، تضخيمها من تحجيمها، أداة تعمق فهم الحدث.
- بوابة مهمة لشروع أجهزة الدولة في فتح التحقيقات في جرائم المال والإدارة.
- تشكل مركز معلومات المؤسسة، وقاعدة بياناتها.
- تمثل صحافة العمق، وهو مستقبل الصحافة الحية الناجحة المؤثرة مستقبلاً. (الحمداني، 2012، صفحة 87)

7. معايير الصحافة الاستقصائية:

هناك بعض المعايير المهمة في نشر المعلومات ومنها توثيق المعلومات ومراعاة الدقة والوضوح، مع احترام خصوصيات حياة المواطنين واحترام الأديان والعقائد وعدم إثارة النعرات العنصرية والكراهية وتجنب نشر الصور الفاضحة والمفردات المبتذلة وكذلك فصل الرأي عن الخبر وتوفير حق الرد والحفاظ على مصادر المعلومات.

8. مراحل العمل الاستقصائي:

1.8. الكشف عن قضية أو موضوع:

يتطلب عملية رصد وفهم عام لكل متعلقات القرارات السياسية والاقتصادية والشؤون العامة ليس فقط في الجانب المعلوماتي بل والقدرة على ربط الأحداث واستنباط مجاوراتها من الظواهر، ثم تحديد القضية أو الموضوع أو الظاهرة، فالمادة موجودة في كل مكان والمشكلة هي في رؤيتها وتوجد طرق عديدة لاستشعار قصة تستدعي الاستقصاء وتتمثل إحدى هذه الطرق في مراقبة وسائل الإعلام فبشكل عام من الأفكار الجيدة مراقبة قطاع إعلامي معين كي تستطيع البدء بتحديد أنماطه فتدرك بذلك متى يحدث أمر غير عادى وتتمثل طريقة أخرى في انتباهك لما يتغير في البيئة. هذا وترتبط بالقضية مجموعة من التساؤلات:
لماذا هذه القضية دون غيرها من القضايا؟ ماذا سأضيف في عملي الاستقصائي لهذا الموضوع؟ من المستفيد؟من المتضرر؟ هل هناك قاعدة معلومات أو بيانات؟ وكيف سأصل إلى الحقائق وبأي طريقة؟ هل التناول يثير إشكالية قضائية؟ من هم الخبراء المساعدون؟ هل أنا مستعد للإجابة والتبرير والإثبات بوثائق وأسانيد كافية ومنعة؟ هل تثير القضية الرأي العام ايجابيا؟ وكم ستتكلف مؤسستي مادياً؟ كم من الوقت ستستغرق عملية التقصي والكشف وربط الأحداث والتحرير؟ بأي شكل تحريري سأتناول الموضوع؟(الحمداني، 2012، صفحة 98)

2.8. طرح فرضية للتحقق منها:

استخدام الفرضيات جوهر الأسلوب الاستقصائي حيث تطرح أسئلة محددة يجب الإجابة عنها من خلال تقطيعها إلى محاور أو أجزاء ثم التثبت من كل واحد من تلك الادعاءات على حده.

وطرح الفرضية يحقق المزايا التالية:

أ- يمنحنا شيئاً لنتحقق منه بدلاً من محاولة كشف سر ما.

ب-تزيد الفرص في اكتشاف الأسرار.

ج- تجعل إدارة مشروع الاستقصاء أكثر سهولة.

د- أدوات يسهل استخدامها بكثرة.

و- تضمن كتابة قصة وليس فقط كمية من المعلومات.

المفاتيح الأربعة لتفعيل الفرضيات:

- المصداقية هو محاولة لكشف شيء غير معروف إلى الآن وفيها الصحفي لا يغطى أخباراً فحسب بل يصنعها أيضاً ولذا فهو يقوم بقفزة إلى مستقبل غامض وهذا عمل إبداعي بحد ذاته.
- التحديد فكلما كانت الفرضية مصاغة بدقة كلما كان التحقق منها ممكنا.
- الخبرة فهي من العوامل المساعدة علىالتحقق من الفرضية.
- الموضوعيةوهي قبول واقع الحقائق التي يمكن أن نثبتها وقبول الخطأ والاستعداد لطرح فرضية جديدة.

ويتطلب أسلوب الفرضيات لعمل مشروع استقصائي الأمور الآتية:

- التسليم.

- معالم زمنية مرتبطة بالعملية.
- التكلفة والمردود.
- التأييد من خلال طرح أسئلة حول من ستهمه هذه القصة كيف يمكن زيادة وعي الجمهور بالقصة هل سيشمل ذلك تكاليف إضافية ما هي الفوائد التي ستجنيها أنت أو مؤسستك الصحفية من هذا الاستقصاء؟

3.8.الحصول على معلومات من مصادر علنية وبشرية للتحقق من الفرضية:

في العالم المعاصر تكثر المصادر العلنية بما لانهاية لها وتشمل المعلومات التي نشرت في أي وسيلة إعلامية يسهل الوصول إليها بحرية مثل وسائل الإعلام من صحف ومجلات وتليفزيون وراديو وإنترنت، ومنشورات متخصصة، وكالات الأنباء، إدارات الإعلام بالقطاعات المختلفة، كما توجد المعلومات الأكثر إثارة عادة في ذاكرة وعقول الناس وليس المصادر العلنية وهو ما نطلق عليه المصادر البشرية، الأمر الذي يتطلب من الصحفي سؤال نفسه من أين نعثر على هؤلاء الناس؟ وكيف نجعلهم يقولون لنا ما يعرفونه؟ وعلى الصحفي عدم التقليل من هذه المهارات، فليس كل صحفي يمتلكها، وعمل الصحفي الاستقصائي سوف يطور هذه المصادر إلى درجة عالية بشرط عدم إساءة استخدامها.

4.8. التنظيم:

يتطور العمل الاستقصائي إلى مادة أكثر بكثير مما تنتجه الأخبار التقليدية لذا يجب أن تكون هذه المادة منظمة بفاعلية على أسس مستمرة وهذا العمل التنظيمي هو جزء من عملية منهجية للكتابة والنشر والتنظيم الاستقصائي هو التأكد من أنك تعرف أي نوع من التوثيق الذي لديك والمعلومات التي تحتوى عليها الأصول وأنك تعرف مكان أصل معين وتستطيع أن تجده بسهولة ويسر ولهذه العملية جزءان الجزء الواضح أنك تبنى قاعدة معلومات أو أرشيفاً تستطيع البحث فيه بسهولة , والجزء الثاني الأقل وضوحاً هو أنك خلال بناء قاعدة المعلومات تكون في طور بناء قصتك وثقتك بها.

5.8. كتابة الاستقصاءات:

تختلف كتابة الموضوعات الاستقصائية عن الكتابة الصحفية العادية، ففي هذه المرحلة تتطلب مهارات مختلفة وقواعد مختلفة من خلال استخدام قواعد السرد الأكثر تعقيداً، الأمر الذي يتطلب من الصحفي ألا يكون مملاً حيث الإيقاع المبسط مفتاح الكتابة الاستقصائية، وتجنب خطر الشك، ولا تلوث الاتهامات الجادة بأخرى تافهة وبوجه عام يجب أن يلتزم العمل الاستقصائي المحرر بثلاثة معايير أساسية هي: التماسك والتكامل والحركة.(الحمداني، 2012، صفحة 101)

6. واقع الصحافة الاستقصائية في عصر التدفق المعلوماتي:

أعدتالصحفية"**جسيكاوايس** "الأمريكيةالمهتمةبالصحافةالاستقصائيةوالمتابعةلتطورهابحثاعنهذاالموضوعمنهبعضالدروسوالاستنتا جاتالتيتؤرخلتطورالصحافةالاستقصائيةوتوضحمدىخصوصياتهذاالفنفيتعمقهوبعده الزمني وتداخل الأبعاد الشخصية والقانونية والأخلاقية في معالجته.(الهيني، 2011)

وعلى الرغم من تطور الصحافة الاستقصائية في العديد من البلدان المتقدمة، فإن تقدمها في بلدان العالمالثالث يبقي محكوما بجملة من المدخلات السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية فضلا عن متغيرات تكوين الصحفيين ومأسسة المقاولات الصحفية وانفتاح مصادر الاخبار ويوجد الآن أكثر من خمسين مركزاً استقصائياً حول العالم، ونصف هذا العدد قد

أنشئ بعد عام 2000 .و يعود الفضلالى مراكز وشبكات دولية مثل الإتحاد الدولي للصحفيين الاستقصائيين في توفير منابر للصحفيين للتواصل و العمل على التحقيقات الاستقصائية.(هنتر و يسرى، 2009)

ويتكون الإتحاد من مائة صحفي من خمسين دولة، ويتطلع القائمون عليه للتوسع أكثروتقوم المراكز الأخرى، مثل الصحفيون العرب في مجال الصحافة الاستقصائية والمركز الروماني للصحافة الاستقصائية ومنتدى الصحفيون الاستقصائيون الأفريقيون"**FAIR**" ، بمساعدة الصحفيين على التواصل والتجمع والتدريب.وقد استضاف منتدى الصحفيين الاستقصائيين الأفارقة في نهاية أكتوبر الماضي في جوهانسبورغ المؤتمر الأول للصحافة الاستقصائية .في بلدان معروفة بتعسفها ضد الإعلام، استطاع الصحفيون أن يجدوا طرقاً مختلفة للعمل على التحقيقات الاستقصائية عن طريق التطرق الى المواضيع الأقل حساسية، مثل المواضيع المالية وما يخص المستهلك ومواضيع النظام الصحي والبيئة.وكمثال على ذلك، تمكنت الصحيفة الصينية" **كيجنك**" من التطرق إلى مواضيع الأموال والتحقيقات المالية.

وحتى في البلدان التي لديها إعلام مستقل، فإن العمل على القصص الإخبارية الاستقصائية تتخلله بعض التحديات. منها عوامل اللغة والثقافة والمشاكل التقنية والعمل في أقاليم ذات توقيت. يعتبر في أحيان كثيرة العمل تحت غطاء السرية في غاية الأهمية ويضطر الصحفيون إلى اللجوء إليه في أمريكا.

والتخفي هو الآخر يكون الوسيلة الوحيدة لإنجاز العمل .ومن أبرز التحديات الدائمة في الصحافة الاستقصائية هو جمع المعلومات الكثيرة.

ويكرسّ الاتحاد الدولي للصحفيين الاستقصائيين حاليا مصادر كثيرة لخدمة مشروع UJIMA، (الصحفيين الاستقصائيين) وهو مجموعة من القواعد البيانية والوثائق والمعلومات متوفرة للصحفيين في أفريقيا فقط حالياً.

وحالما يصدرَّ المشروع عالمياً، سيكون بإمكان الصحفيين حول العالم الحصول على معلومات عن تسجيلات العملاء الأجانب ووثائق بيع الأسلحة وعقود التنمية ومعلومات من الأمم المتحدة، وكل ذلك عن طريق بحث بسيط على الإنترنت. فالطرق الجديدة لجمع المعلوماتالمعتمدة في الصحافة الاستقصائية كحرفة مرتكزة على نفس المبادئ التي بنيت عليها وتتطلب نفس المهارات، مثلا كيفية التفكير المنتظم في كتابة القصة وإيجاد عدة مصادر للمعلومات والتمحيص في الوثائق العامة وإجراء اللقاءات وتتبع الخيوط الدالة على الشخوص والتمويل.

الصحفي الاستقصائي يشبه أحيانا برجل الشرطة المخلص ورجال العدل الشرفاء الذين يتمنون بأن يتركوا العالم على شكل أفضل مما وجدوه، فيغوص الصحفي الاستقصائي في أعماق المواضيع الشائكة ويحاول النظر فيما إذا كان الناس الذين يملكون السلطة والقوة يطبقونها بمسؤولية وهذه هي الطريقة المثلى للتحقيق.(أبو حشيش و ساق الله، 2013، صفحة 10)

7. أساليب امتهان الصحافة الاستقصائية:

وهي بمثابة الطرق التي يعمل بها الصحفي الاستقصائي من أجل الوصول إلى غاياته وأهدافه المرجوة من البحث:(الدين، 2010)

1- الملاحظة بالمشاركة: وهي تنكر الصحفي وتعايشه في داخل مجتمع الدراسة الذي يقوم بمتابعته، وهي تساعد بشكل عام في رسم صورة دقيقة للمجال الذي يقوم الشخص بملاحظته.

2- التجربة الميدانية: وهو إجراء تجارب ميدانية لاختبار فرضيات معينة للتأكد من صحتها سواء بنفيها أو بتأكيدها، وأساس هذه التجربة قائم على تشكيل أو توجيه متغير مستقل وملاحظة تأثيره على متغير تابع.

3- تيار الدراسة المنظمة للوثائق: وتسمح هذه التقنية للمحررين والقراء بالوصول إلى خلاصات مبنية على قاعدة صلبة من المعلومات لا على مزيج من الحديث أو الملاحظة داخل حجرة المحاكمة مثلاً لأنها تعتمد على المصادر الأصلية وتستخدم المنهج الكمي مستعينة بالحاسبات الالكترونية.

4- استقصاءات الرأي العام: ويلجأ إليه الصحفي ليكشف عن اتجاهات ومشاعر فعلية للمواطنين نحو موقف معين أو رأي ما، وهذا الاسلوب منتشر بكثرة في الغرب، حيث تمتلك المؤسسات الإعلامية مراكز أبحاث يجرى فيها الاستطلاعات واستقصاءات الرأي العام.

وتشير "**ماريا تيريسا روندیروس**" إلى أنّ برامج معالجة المعلومات من الوسائل التي تمكن الصحفي من رصد أي نموذج إجرامي أو ممارسات تجارية متعسّفة في ظرف دقائق. وقد سمحت إمكانية **تصنيف المعلومات واستخراجها** من مجموعات المستندات المسرَّبة الهائلة من خلال تنسيق جهود الصحافة الاستقصائية العالمية بتقديم براهين على **الصفقات التجارية المشبوهة على نطاقٍ عالمي** .وقد نَمت شبكات التواصل الاجتماعي والممارسات الحكومية الشفافة وقواعد البيانات العامة والتعرّف على الصور والتخطيط وتحديد المواقع جغرافياً والأدوات المفتوحة المصادر ذلك بشكل تصاعدي ومعظمها مجاني. فهي تمنح أي مواطنٍ كان ممّن لديه جهاز كمبيوتر أو هاتف ذكي ويتمتع بالتدريب الخاص والحدس الجيد فرصة **كشف الحقائق الكامنة وراء الحروب**وتسهّل التطبيقات والبرامج المجانية عمل الصحافيين، الاستقصائيين حول أي مشكلة ذات شأن عام لربط أي اسم بهاتف معين في أماكن عدة من العالم، أو تعقّب تحرّكات المجرمين من خلال وصل أسمائهم بمواقعهم. (روندیروس، 2022)

وللقيام بالتنقيب والمراسلات من الشارع وكسب المصادر والتمسّك بالقصص حتى يصبح لها مغزى فإنه من الضروري التقيد بالقواعد التي تم عرضها سابقا مع ثلاث من الممارسات الجديدة: الانفتاح، والتحلّي بالمنهجية والحفاظ على السلامة، ويعني "**الانفتاح** "أن ينظر الصحافي أبعد من حدود بلاده. وفي حين أنه يصح أن معظم الأشخاص يفضلون القصص المحلية، إلّا أن العثور على روابط للعالم الخارجي قد يجعلها أفضل، حيث إنه يمكن التحقق من الوقائع ومعاكستها بشكل واسع. لذا، إذا عثرت إحدى المراسلات على شركة تلوّث أحد الأنهر في بلدها، فبإمكانها اللجوء إلى موارد دولية، مثل **لوحة التحكم** في مشروع الإبلاغ عن الجريمة المنظّمة والفساد (OCCRP) أو إلى **قسم مراقبة الشركات** في مكتب الصحافة الاستقصائية. وقد تكتشف أن هذه الشركة بذاتها تملكها مجموعة صناعية تضطلع بممارسات بيئية متعسّفة في مكان آخر.

وقد تكون إحدى القصص أحياناً شديدة الخطورة أو التعقيد ليغطيها مراسل واحد بمفرده. لذا فإن "الانفتاح" يعني أيضاً التعاون وأحياناً حتى مع وسائل الإعلام المنافسة. علاوةً على ذلك، فإنه يستدعي حاجة المراسلين الاستقصائيين إلى العمل مع

خبراء من مهن أخرى، وهو ما يحاول كلٌ من **Finance Uncovered** وبرنامج **الإبلاغ عن التمويل غير المشروع في أفريقيا** التابع لوكالةThompson-Reuters ، على سبيل المثال، القيام به في تحقيقاتهما العابرة للحدود.

يستلزم أن يكون الصحافي ''منهجياً'' إتقان استخدام الأدوات والبرامج لكشط البيانات وتنظيفها؛ ولتنظيمها والنظر إليها حتى تحكي الأرقام القصة. هذا هو ما تقوم به India Spend لشرح **قوة الاعتقال ما قبل المحاكمة في الهند**، على سبيل المثال، أو ما قام به مركز الفيليبين للصحافة الاستقصائية لرسم ملامح مرشحي العام في **الانتخابات العمومية** .وتقدم الشبكة العالمية للصحافة الاستقصائية(GIJN) ، من بين ما تقدمه من موارد إلى الصحافيين الاستقصائيين، **سلسلة كاملة من الأدوات** لمساعدة الصحافيين على الانطلاق على طريق صحافة البيانات. (روندیروس، 2022)

هناك جانب آخر لممارسة الصحافة الاستقصائية وهو الجانب المنهجي حيث قسّم "محمود علم الدين" الاستفادة الصحفية من مناهج البحث في العلوم الاجتماعية إلى مستويين(الدين، 2010): المستوى الأول: الاستفادة من الخطوات المنهجية للبحث العلمي في التصدي لموضوع معين، وهي عبارة عن مجموعة من المراحل التي تتميز بالتسلسل والتتابع من ناحية وبالتداخل والترابط من ناحية أخرى، وتتضمن الإحساس بالمشكلة، ودراسة المشكلة، وفرض الفروض، ووضع مجموعة من التساؤلات، وتحديد نوع البحث، وتحديد طرق جمع البيانات وتصميمها، والمعالجة الإحصائية للمشكلة، وجمع البيانات وفقاً للطرق التي تم تصميمها لهذه العملية، والمعالجة الإحصائية للبيانات التي تم جمعها، واستخدام النتائج المحددة التي انتهت إليها الدراسة، والتعميم، والتنبؤ.

- المستوى الثاني: الاستفادة من أهم سمات المنهج العلمي في جمع المادة، أو البيانات الصحفية، وتصنيفها وتحليلها والوصول إلى خلاصات من أهمها: (التكميم والقياس، الثبات والصدق في القياس، النظرية، فرض الفروض واختبارها، الاستنتاج السببي).

وبناء على ما سبق نلاحظ أن الصحافة لها بحوثها وأن الصحفي يستخدم مناهج البحث وأدوات البحث العلمي في خطواته العملية، فلا يستطيع كاتب صحفي أن يخرج للقراء تحقيقاً، إلا إذا حدَّد منذ البداية فكرته والمشكلة التي سوف يناقشها، وفرض الفروض ووضع تساؤلات ليجيب عليها في تقريره، وأخذ يجمع المعلومات حول هذه الفكرة، ثم صنفها، ثم تتبع نتائجها ومسبباتها ودرس العلاقة بين المعلومات والترابط بينها، ومن ثم خلص إلى معلومات دقيقة غير قابلة للشك، وقابلة للتأكيد واختبار المصداقية والثبات لها، ثم وضعها في قالب صحفي مناسب ليعرضها للجمهور. ومن التطبيقات المساعدة نجد على سبيل المثال، من خلال الوصول إلى قالب **لمواصلة طلب المعلومات العامة** وحتى دعوة قرائك إلى استخدامه، مثلما يقوم به **Atlatszo.hu**. وتشجيع الجمهور بشكل دائم على مساعدتك من أجل إتمام تحقيقاتك بالبيانات، والمستندات والصور، مثلما يقوم به OCCRP من خلال منصته **OCCRP Leaks**. كما هناك مواقع تساعد المراسل على **وصل أحد المجالات بأحد الأسماء**؛ أو برؤية نشاط إحدى شبكات التواصل الاجتماعي الدائر في مكان معين. يشرح بول مايرز هذه الأدوات والعديد غيرها في كتابة عبر**Research Clinic** (روندیروس، 2022)

من المؤكد أن كلاً من أدوات البحث، والانتشار العالمي والإدارة الكفؤة لقواعد البيانات الضخمة يمنح الصحافي الاستقصائي في يومنا هذا القدرة على التوسّع والتعمّق أكثر عند مكافحة التعسّفات الأكثر تعقيداً والخفية. في الواقع، للاستفادة من هذه الإمكانية، فإنه يجدر به إتقان أدوات جديدة وجعلها جزءاً لا يتجزأ من ممارساته الصحافية اليومية. ولكن حذار؛ فعلى الرغم من العبقرية التي تمتاز بها كل الأدوات الموضوعة في متناول يدنا، تبقى القصة، والحصول على المعلومات الدقيقة، وإضفاء طابع العدل عليها والكشف عن المظالم التي تلحق بالصالح العام والتي يفضل البعض إبقاءها في الخفاء أركان الصحافة الاستقصائية الأساسية. ولم يصبح أيٌّ من ذلك أسهل بعد!

8.الصحافة الاستقصائية في العالم العربي:

أدت الأحداث التي شهدها الوطن العربي في العشرية الأخيرة إلى بروز الصحافة الاستقصائية في عدد من الدول التي عرفت انتقالا ديمقراطيا بالنظر إلى المكتسبات المحققة في مجال حرية التعبير. تبعا لهذا المعطى، ظهر هذا النوع الصحفي كتخصص مهم فرض نفسه بقوة بعد الثورة في تونس على وجه الخصوص لينتقل بعدها ليشمل عددا من أقطار الوطن العربي، وخاصة بلدان الربيع العربي، أين تم تسجيل نقلة نوعية وتطورا في أداء المؤسسات الإعلامية في هذا المجال في عدد من الدول التي عرفت مراحل انتقالية بصورة عامة.(أ، 2015)

في هذا الإطار، يقول الباحث التونسي "**الصادق الحمامي**" أن الصحافة الاستقصائية تنشأ وتتطور في سياق مخصوص وملائم يقتضي وجود إرادة لدى الصحفيين كأفراد وكمهنة للتحرر من التبعية للسلطة ومن الخضوع إليها والتي استمرت لعقود طويلة. ففي تونس، كان توجه قسم كبير من الصحفيين والصحفيات الشباب على وجه الخصوص نحو الصحافة الاستقصائية قصد التمايز عن الصورة النمطية للصحفي. إلى جانب ذلك، تشكل تمثلات جديدة لدى عدد من الصحفيين أو أحيانًا لدى الجمهور عن الصحافة، إذ ترى في الميديا والصحافة والصحفيين آلية أساسية من آليات مساءلة السلطات السياسية.(الحمامي، 2021)

ويقدم "**الصادقالحمامي**" مجموعة من الأسباب التي شجعت على تنامي الصحافة الاستقصائية في تونس تتلخص في: (الحمامي، 2021)

- البرامج التدريبية التي وضعتها منظمات دولية (على غرار شبكة "إعلاميون من أجل صحافة استقصائية عربية" –أريج– التي تعتبر أكثر المنظمات نشاطًا) أو منظمات وطنية على غرار الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد مثلًا بالشراكة مع مؤسسات وطنية أو دولية.
- طموح صحفيين بادروا فرديًا في إطار مبادرات شخصية.

– السياق السياسي الجديد الذي اتسم بتكريس حريات التفكير والتعبير والصحافة، إذ يوفر كل من الدستور والقوانين الجديدة على غرار المرسومين 115 و116 حماية للصحفي عبر ضمان حماية مصادره ونفاذه إلى المعلومات.

يمكن القول هنا إن التجربة التونسيةتعتبر رائدة على المستوى العربي في العمل الصحفي الاستقصائي، أين عملت أطراف عديدة على تطوير الصحافة الاستقصائية، إذ انخرطت العديد من مؤسسات الميديا وقد أنتجت عددًا معتبرامن التحقيقات الاستقصائية. من أمثلة الأعمال الاستقصائية المنجزة من قبل الميديا التونسية، يمكن الإشارة إلى التحقيق الذي أنجزه موقع نواة حول قضية البنك التونسي الفرنسي الذي اشتغل عليه لمدة ثلاثة أشهر أكثر من 3 صحفيين. المثال الأكثر دلالة في مجال الصحافة الاستقصائية هو سلسلة التقارير الاستقصائية (6 تقارير) التي أنجزها موقع "**إنكيفادا**" حول ما يسمّى "أوراق بنما" في إطار التعاون مع المجمّع الدولي للصحفيين الاستقصائيين وشركاؤه، وقد تحصل العمل على وثائق بنما على المستوى العالمي على جائزة بوليتزر العالمية. ومن التحقيقات الأخرى التي نشرها موقع "إنكيفادا"، نجد التحقيق حول "سويس ليكس Swiss) " (leaksالمعدّ من طرف الصحافة الدولية وموقع "إنكيفادا" في تونس.

على الرغم من النجاحات المحققة في مجال الصحافة الاستقصائية بتونس مقارنة بباقي الدول العربية، إلا أنالعديد من الخبراء في الصحافة الاستقصائية يعتقدون أن تلك النجاحاتتعود في الأساس لجهود فردية وتمويل بشكل ذاتي من قبل الصحفي،وذلك لعاملين رئيسيين:

– الإصرار على خوض غمار هذه التجربة الجديدة

– قلة اهتمام المؤسسات الإعلامية التي تبحث عن المادة الجاهزة، وكذا ارتباط المؤسسات الإعلامية جلها بالحكومة.

1.8. موقع إنكفادا كأنموذج للعمل الصحفي الاستقصائي في الوطن العربي:

في ظل انتشار حرية التعبير والصحافة التي أعقبت الثورة التونسية، عمل عدد من الصحفيين التونسيين على تأسيس "إنكيفادا" سنة 2011، ينشر الموقع باللغتين الفرنسية والعربية، طور حقًا الصحافة الاستقصائية والتحقيقات العميقة بشكل عام(global investigative journalism network، 2020)ومن ثمة كان لزاما عليهم انتهاج أساليب جديدة في رواية القصص. من خلال التعمُّق في الروايات الشخصية باستخدام الرسوم التوضيحية ومقاطع الفيديو والوسائط المتعددة، كما يتضمن رواية القصص على المستوى الكلي من خلال تقديم البيانات بطريقة بصريّة وتفاعليّة، يُبثّ البودكاست باللهجة التونسية، حيث يرى القائمون على الموقع أن البودكاست يقرّب الموقع من الجمهور المستهدف. وفي هذا السياق وضع القائمون على الموقع مجموعة من الخطط والتصورات لتقديم بعض المقالات العربية باللهجة التونسية ضمن سلسلة البودكاست التي تحمل اسم Inkystories كجزء من مشروعٍ لتقديم المقالات الموجودة بشكل صوتيّ، بحيث تعتبر هذه الآلية فعالة لتجاوز عائق اللغة تمكن الموقع من الوصول إلى شرائح مختلفة من الجماهير.(فرودي، 2020)

أنجز موقع "إنكفادا" العديد من القصص المهمّة على غرار التحقيق المقدم سنة 2016 حول موضوع التهرب الضريبي بين العاملين في المهن الحرّة كالطب والمحاماة. أما في سنة 2018، سلّطت "إنكفاضة" الضّوء على عمليات زراعة الثدي المشوبة

بالعيوب التي تخضع لها نساء يأتين إلى تونس بهدف السياحة الطبية، وتناول التحقيق التعتيم على مخاطر العمليّة.وهو تحقيق عالمي عن الأجهزة الطبية نسّقه الاتّحاد الدّولي للصحفيين الاستقصائيين. خلال انتشار وباء فيروس كورونا، عمل فريق من الصحفيين العاملين بالموقععلى تقديم المسار التقديري للفيروس في تونس بشكلٍ بصريّ استناداً إلى عدد الحالات المؤكّدة في البلاد ومعدلات النمو التي رُصدت في بلدان أخرى، إلى جانب بيانات عن قلة أعداد أسرّة العناية المركّزة المتاحة. انتشرت خريطة "إنكفاضة" على نطاق واسع، وكشفت الخريطة المرمَّزة بالألوان التفاوتات الإقليمية في عدد الأسرّة، والتي تتركز في المقام الأول في المناطق الشمالية والساحلية التي تتلقى معاملة تفضيلية تاريخياً.

ويوضح "الصادق الحمامي" أن للموقع شروط عديدة من تلك التي يجب أن تتوفر حتى تصبح الصحافة الاستقصائية ممكنة:

- الاستقلالية عن الفاعلين السياسيين والاقتصاديين ومراكز النفوذ في تونس: (الحمامي، 2021)حرص فريق التحرير المؤسس للموقع على تجاوز الاستقطاب بين الإسلاميين والعلمانيين الذي هيمن على السياسة والإعلام في تونس في مرحلة ما بعد الربيع العربي. حيث ركزوا على البحث في القضايا التي تؤثّر على حياة الناس، كالفساد والتهرّب الضّريبي، بالإضافة إلى القضايا الاجتماعيّة كالإرهاب والحصول على المياه والاتّجار بالبشر. (global investigative journalism network، 2020)

كما يتميز موقع "إنكفادا" باستقلاليّته، حيث تحاول المنظّمة الحفاظ على الاستقلال المالي من خلال الحد من اعتمادها على المانحين وتنويع مصادر الدخل. ففي عام 2019، كان 35% من ميزانيتهم البالغة 1.5 مليون دينار تونسي (حوالي 524 ألف دولار) تمويلاً أساسياً من الجهات المانحة مثل Open Society Foundations و International Media Support، في حين أن الباقي كان من الخدمات التي تم بيعها لوسائل إعلام ومنظمات غير حكومية أخرى، مثل تطوير المواقع الإلكترونيّة، والتّصميم الجرافيكي، والتدريب الصحفي. تجدر الإشارة إلى أنّ الموقع لا ينشر الإعلانات أو الرعاية التّجارية.

- الوقت الضروري لإنجاز مثل هذه التحقيقات، والإمكانيات المادية أيضًا التي تسمح بتخصيص صحفيين لهذا الموضوع.(الحمامي، 2021)

أما في الجزائر، فقد بدأت تظهر للعيان مبادرات لإدراج تخصص يعنى بالصحافة الاستقصائية، يدرس بالمعاهد والجامعات، بالإضافة إلى الاستعانة بمهنيين محترفين وأطراف لها تجربة طويلة في هذا المجال، على غرار الشبكات في محاولة لتسويق هذا الشكل الصحفي، زيادة عن تنظيم دورات تكوينية وتدريبية لإعلاميين على أسس الصحافة الاستقصائية ضمن منهجية واستراتيجية واضحة المعالم تستند إلىدمج معايير الحرفية والدقة والموضوعية.ومما يجب الإشارة له هنا، ضرورة وضع خطط ومقاربات عملية

قصد تسريع تطوير هذا التخصص الذي لا يزال يسير بخطى بطيئة، بسبب الإفراط في الاهتمام بالجوانب التنظيمية والقانونية وإهمال الأبعاد المؤسسية.

فقد شهدت الجزائر في العشرين سنة الأخيرة العديد من الأحداث والقضايا المتصلة بالفساد المالي والسياسي على وجه الخصوص، وكان دور الصحافة في ذلك مقتصرا على نقل مجريات التحقيق القضائي وتحليل الأحكام القضائية المرتبطة بالأشخاص الذين تورطوا في تلك القضايا، فمثلا في قضايا الفساد المالي المرتبطة بشركة سونطراك والتي عرفت إعلاميا ب سونطراك "1،2،3،4" تدور كلها حول شبكة فساد مالي ، ويتهم فيها مجموعة كبيرة من السياسيين والمسؤولين الجزائريين عن قطاع النفط بتلقي عمولات ورشاوي دولية تقدر بملايين الدولارات، من مجموعة من الشركات الأوروبية أو المتعددة الجنسيات مقابل صفقات ضخمة تخص الشركة النفطية الجزائرية، كانت الصحافة الإيطالية هي المبادرة بكشف خبايا تلك القضايا لا سيما قضية "سونطراك 02"، كذلك الأمر بالنسبة لقضية الطريق السيار "شرق –غرب"، والتي تعد من أكبر قضايا الفساد التي أثارت الكثير من الجدل منذ انطلاق التحقيق فيها سنة 2008 وإلى غاية برمجة القضية للمحاكمة خلال سنة 2015، حيث اقتصر أيضا دور الصحافة الجزائرية على نشر ما وصلت إليه التحقيقات القضائية والأحكام الصادرة في حق المتهمين، فلم تقدم أي مؤسسة إعلامية إلى المبادرة في انجاز تحقيق استقصائي استباقي في هذا الملف قبل تداوله من قبل الجهات القضائية.

أحيانا تبرز على الساحة الإعلامية الجزائرية تحقيقات صحفية تتعلق بقضايا أو شخصيات عمومية تتولى مسؤوليات في الدولة، غير أن تلك التحقيقات لا تتسم بالاستقلالية وإنما تندرج ضمن مخطط تم موضعه من قبل جهة او جهات ما سياسية أو اقتصادية تستهدف تلك الشخصيات بهدف ابعادها من الساحة، على غرار تحرك الصحافة بعد أحداث 5 أكتوبر 1988 ضد الجنرال "محمد بتشين" الذي كان على رأس قيادة مؤسسة الأمن العسكري ، فاضطر إلى الاستقالة في سبتمبر 1990، وحين استدعاه الرئيس اليمين زروال ليكون مستشاره العسكري تحركت الصحافة مرة أخرى ضده فاستقال من السياسة، هناك من المحللين من يرىأن حملة الكاتب "**نور الدين بوكروح**" ضده هي التي عجلت باستقالتهحيث قام بنشر عدد من المقالات صاحبها نشر الصحف لشهادات ضد مستشار الرئيس زروال، في حين يعزو آخرون ذلكإلى المقالات التي نشرها"هشام عبود" (مدير مكتبه في الأمن العسكري) (رزاقي، 2014)

وفي هذا الصدد، يمكن القول إن الأعمال التي يصنفها أصحابها في الإعلام العربي بشكل عام ضمن العمل الصحفي الاستقصائي تندرج ضمن خانة "التسريبات الصحفية" وهو ما يتوافق والرؤية التي قدمها "**الصادق الحمامي**"حيث يقول في هذا الإطار "نرى في الصحافة التونسية أحيانًا تحقيقات حول بعض الشخصيات أو المؤسسات منها ما يتعلق بالفساد، لكن نلاحظ أحيانًا أن هذه التحقيقات ليست سوى إعادة نشر لملفات قد تلقاها الصحفي وقام بإعادة نشرها. وعلى هذا النحو، من المشروع وسم هذا النوع من الصحافة بـ ’’صحافة التسريبات" لسببين أساسين:(الحمامي، 2021)

- ✓ أولهما لأن الصحفي لم يتحرّ بنفسه في المعطيات التي تلقاها من المصادر بل اكتفى بإعادة نشرها، وفي هذه الحالة تحول الصحفي بشكل إرادي أو غير إرادي إلى مجرد ناقل لمعلومات ولمعطيات في إطار إستراتيجية معينة.
- ✓ أما السبب الثاني فهو أن الصحفي في هذه الحالة لا يسعى إلى تحقيق غاية متصلة بالحقيقة وفق أجندة خاصة به أي أجندة صحفية، فالصحفي ليس في كل الأحوال واسطة أو "أنبوبًا" بين المؤسسة التي تقوم بالتسريب والجمهور.

تأسيسا على هذا الطرح، إن المعطيات والمعلومات التي توفرها المصادر المؤسسية من أحزاب، مؤسسات عمومية، جمعيات، شخصيات سياسية، بطريقة طوعية في شكل بيانات أو بلاغات أو ملفات صحفية أو حوارات صحفية وفي مواد مطبوعة ومرئية أو مسموعة وتقدم من قبل المؤسسات الإعلامية في شكل ريبورتاج تقليدي أو تغطية إخبارية عادية، ومن ثمة فهي لا تندرج ضمن الصحافة الاستقصائية. ذلك أن هذه الأخيرة، هي نوع من الصحافة تقوم على معطيات ومعلومات جمعها الصحفي بنفسه في إطار إستراتيجية خاصة به وضعها لنفسه غايته في ذلك السعي إلى كشف الحقيقة ولا شيء غير الحقيقة حتى وإن كان ذلك في إطار التزامه بمكافحة الفساد.(الحمامي، 2021)

2.8. صعوبات امتهان الصحافة الاستقصائية في الوطن العربي:

تواجه الصحافة الاستقصائية العديد من المصاعب والعراقيل، حيث يقدم "الصادق الحمامي " جملة من المصاعب تفسر محدودية هذا النمط الصحفي في تونس ويمكن أيضا اسقاطها على باقي الدول العربية، ومن هذه المصاعب:(الحمامي، 2021)

- أن الصحافة هي عمل جماعي تتطلب شروطًا مؤسسية وموارد بشرية وتكنولوجية ومالية وكفاءة صحفية ومهنية ومنهجية ولكن أيضًا أخلاقيات. إذ دون هذه العناصر مجتمعة، لا يمكن أن نتحدث عن صحافة استقصائية. لكن المؤسسات الصحفية التونسية لا تتوفر لها دائمًا الإمكانيات لإنجاز هذه الصحافة المكلفة جدًا في مستوى الموارد البشرية والإمكانيات المادية.
- أما السبب الثاني الذي يفسر محدودية تطور الصحافة الاستقصائية يتمثل في السياق السياسي الذي يتسم بالاستقطاب السياسي والإيديولوجي. إذ لا يمكن للصحافة الاستقصائية الطامحة لكشف الحقيقة ومساءلة السلطات السياسية على وجه الخصوص وأصحاب النفوذ أن تتطور في سياق ينقسم فيه الناس إلى معسكرات سياسية وإيديولوجية متضاربة غير قابلة لحقائق مجردة، يمكن أن تتضارب مع قناعاتها السياسية والإيديولوجية والتي يمكن أن تبرأ الخصم السياسي والإيديولوجي، وحينما يُعتبر أن كل ما لا يتماشى مع هذه القناعات يمثل حقائق مزورة وكاذبة وألاعيب تقوم بها الصحافة لتبرئة هذا الطرف أو ذاك. كما أن التحقيقات الاستقصائية يمكن أن تؤول على أنها حملات تقوم بها المؤسسات ضد أحزاب سياسية مثلًا أو حتى أطراف أجنبية.

- كما يؤكد أيضا على أن الصحافة الاستقصائية لم تكسب بعد مشروعية لدى الجمهور العريض، وهو ما قد يكون مرتبطًا أيضًا بتراجع الثقة في الصحافة بشكل عام. فهذه الصحافة الاستقصائية تحتاج إلى شروط مجتمعية ومنها على وجه الخصوص مواطنين غير متحزبين يؤمنون بالحقيقة كقيمة عليا.

وفي هذا الإطار، يمثل تحدي الأخلاقيات أهم تحد يمكن أن يواجه الصحافة الاستقصائية التونسية الناشئة ومشروعيتها. ويذكر "**مارك لي هنتر**"، المختص في الصحافة الاستقصائية، أن هذا النوع من الصحافة يجب أن يحترم المعايير الأخلاقية الصارمة للمهنة الصحفية ومنها خاصة مصداقية المصادر، ووجوب إسناد المعلومات والمعطيات إلى مصادر واضحة، وأن يتجنب الصحفي الاستقصائي إهانة الناس واللهجة العدوانية. ولهذه المحاذير أهمية خاصة في السياق التونسي التي يمكن أن تتحول فيها التحقيقات في مجال الفساد خاصة إلى مناسبة لتصفية حسابات بدوافع سياسية أو أيديولوجية.

كما يشير **"كمال الشارني "**، إلى أن لطبيعة المجتمع التونسي ويمكن تعميم كلامه على كامل المنطقة العربية ، حيث الإدارة والدولة تحتكم على نظام بيروقراطي شديد التعقيد ومتسلط ينهك عزيمة أي صحفي في طلب المعلومة والوثائق والحجج من المصدر الرسمي. (الابراهي)

- سيطرة صحافة السلطة والدعاية.

- غياب مصادر التمويل وعدم فتح المؤسسات الإعلامية المجال لممارسة العمل الاستقصائي أولى الأسباب التي تسهم في إطفاء حماس الصحفي الاستقصائي
- غياب القوانين والضمانات التي تحافظ حتى على سلامة الصحفي.
- مصالح أصحاب المؤسسات الإعلامية برؤوس الأموال والخوف من خسارة الممول. والمعادلة هنا صعبة، فإن كانت المؤسسات خاصة فلا شك أن لمالكيها مصالح وتحالفات ربما مع المال الفاسد. وإن كانت مؤسسات عمومية طبعا سترفض لأنها لا تقبل الدخول تحت سقف يمكن أن يضرب مصالح الدولة مباشرة أو يكشف شيئا يمكن أن يؤثر على الأنظمة القائمة التي تظللها".(العرامي، 2017)

ومن أجل ذلك وضعت منظمة الشفافية العالمية صيغة مرضية لصحافة عربية تواجه الفساد، شملت على النقاط التالية:

منظمة الشفافية العالمية:

1- القيام بعملية مراجعة شاملة للقوانين المختلفة المتعلقة بتقييد الحريات، وإلغاء قوانين المطبوعات المقيدة للحريات، وتبني حملات وطنية لإقرار قوانين حرية الوصول إلى المعلومات.

2- حملات توعية للمجتمع المدني بضرورة حرية الصحافة، وبالتالي خوض معركتها، لكونهما يمثلان حلفاً واحداً.

3- حث القطاع الخاص على اصدار الصحف لكونها خط دفاع مهما ضد الفساد الذي يشوه العملية الاقتصادية ويوجهها نحو الاحتكار، والربح غير المشروع في كثير من الأحيان.

4- فك الارتباط بين الصحافة والحكومات بتضمين القوانين المدنية مواد تمنع الحكومات من التملك في الصحافة.

5- الحث على تأسيس نقابات وتجمعات تدافع عن الصحفيين وتقوم بالتعاون المشترك بين النقابات العربية والأجنبية في هذا الأمر.

6- الترويج للصحافة الاستقصائية بوصفها الأهم في فضح قضايا الفساد في المجتمع.

7- إقرار قوانين تشجع المنافسة وتمنع الاحتكار في السوق الإعلامية.

8- العمل على إقناع المؤسسات الصحافية بتخصيص صفحات لمتابعة قضايا الفساد، وحث مؤسسات المجتمع المدني والقطاع الخاص على دعم صحف متخصصة في محاربة الفساد.

9- تخصيص جوائز سنوية لأحسن موضوعات عن محاربة الفساد، أو لأشخاص يحاربون الفساد، ويتفرغون لمواجهة هذا الوباء الذي يفكك المجتمع ويسبب نتائج مريعة لكافة مجالاته وقطاعاته.

10-تشجيع عقد دورات لتدريب الصحافيين على الصحافة الاستقصائية المتخصصة وسبل كشف قضايا الفساد.

فعلاقة الصحافة بالنظام هي التي تحدد بشكل كبير مدى تطور هذا النوع من الصحافة، وهناك نماذج لأشكال استقصائية شبيهة بالصحافة الاستقصائية الغربية في الصحف المصرية، إلا أن هذه التحقيقات غالباً ما انتهت بحظر النشر من قبل النائب العام، أو بإدانة وحبس الصحفيين.

9. خاتمة:

ترتبط الصحافة الاستقصائية تاريخياً بمكافحة الفساد من قضايا ومواضيع في شتى المجالات فتطال السلوك الاجتماعي والثقافي بما فيهما من سلبيات والبحث في عمق الموضوعات والقضايا التي تهم الرأي العام والتنقيب في أسرارها الكامنة سعيا منها إلى أن تؤدي النتائج إلى التغيير الإيجابي،كما أن مجال العمل الاستقصائي لا يشمل فقط مؤسسات الدولة وإنما يمتد ليشمل القطاع الخاص الذي ينتشر فيه الفساد بشكل كبير ما يشير إلى أنه منهج نقدي بحثي قائم على خطوات مدروسة لكشف التجاوزات ويتم عبر الاستفادة من مناهج البحث وإدراك حقيقتها وتحري المعلومات إضافة إلى الاستفادة من مناهج العلوم الاجتماعية ودراساتها كما أن الصحافة الاستقصائية تعاني من عراقيل عدة حاولت الورقة التطرق إليها من خلال تناول واقعها والتطرق للتحديات التي تعتريها وعرض نماذج لبعض القضايا التي تمت معالجتها على المستوى العربي للاستفادة منها.

قائمة المراجع:

1- Ibrahim Fouad Al-Khasawneh, (2012) Specialized Journalism, Dar Al Masirah, Amman.

2- Abu Hashish, H., &Saqallah, M, (2013) What is investigative journalism? Report within the Master of Journalism, Faculty of Literature, Department of Journalism, Islamic University, Gaza.

3- Media Notepad. https://www.themedianote.com/news, accessed on 03/03/2018.

4- Bushra Hussein Al-Hamdani, (2012) Investigative Journalism Coverage, Dar Osama for Publishing and Distribution, Amman.

5- Abdul Halim Hammoud,(2011) Investigative Journalism, The Complete Scandal, Dar Al-Muthaff, Beirut.

6- Abd al-Hamid Nour al-Din Hamid,(w.y) Preparation for journalistic work - investigative journalism and general investigations, Dar Al Sharq Center for Media, Studies and Training, Jordan.

7- Abdul Razzaq Al-Haithi, (2011) Specialized Journalism, Dar Osama for Publishing and Distribution, Amman.

8- Abdul Aziz Sharaf, (2003) Specialized Journalism and Unity of Knowledge, World of Books, Cairo.

9- Awad, S. H, http://www.siiroline.org/alabwab/alhoda-culture/134.html, accessed on 03/03/2018

10- Farouk Abu Zaid, (1998) The Art of Journalism, The World of Books ,Cairo.

11- Farouk Abu Zaid, Laila Abdel-Hamid, (2009) Specialized Journalism, the Arab House for Publishing and Distribution, Cairo.

12- Kamel Al-Tarawneh, (2015). Journalistic investigation, Dar Osama for Publishing and Distribution, Amman.

13- Dr. M (15 March 2018). Retrieved from Reporters for Arab Journalism (March 15, 218).

14- Mark Hunter, FadwaYousra, (2009) ARIJ Guide to Arab Investigative Journalism on the Path to Truth, Reporters for Investigative Journalism Network, Jordan.

15- Weiss, J, International Journalists Network, https://ijnet.org/ar/stories/54637, accessed on 03/03/2018

16- Al-Sadiq Al-Hamami, Tunisia Ultra website, published on June 21, 2021, viewed on May 09, 2022, at the link: ultratunisia.ultrasawt.com/%D97%D9%84-%D9%84%D9%84%D8%B5%D8%AD%D8%A7%D9%81%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D9%82%D8%B5%D8%A7%D8 %A6%D9%8A%D8%A9-%D9%85%D8%B3%D8%AA%D9%82%D8%A8%D9%84-%D9%81%D9%8A-%D8%AA%D9%88%D9%86%D8%B3%D8%9F/%D8%A7%D9%84%D8%

17- Jamila A., despite what the Algerian media cut and achieved in terms of the progress of investigative journalism, another step towards professionalism, Al-Masa newspaper, published October 22, 2015, viewed on May 09, 2022 at the linkhttps://www.el-massa.com/dz/%D9%85%D9%84%D9%81%D8%A7%D8%AA/%D8%A7%D9%84%D8%B5%D8%AD%D8%A7%D9%81%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D9%82%D8%B5%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D8

%A9-%D8%AE%D8 %B7%D9%88%D8%A9-%D8%A3%D8%AE%D8%B1%D9%89-%D9%86%D8%AD%D9%88-%D8%A7%D9%84% D8%A
18- Abd al-Ali Razaki, will the scenario of General Bechin be repeated with General Tawfiq? Published on the website of Al Shorouk newspaper on 02/13/2014, accessed on 09/05/2022 at the link: https://www.echoroukonline.com/%D9%87%D9%84-%D9%8A%D8 %AA%D9%83%D8%B1%D8%B1-%D8%B3%D9%8A%D9%86%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D9%88-%D8%A7%D9 %84%D8%AC%D9%86%D8%B1%D8%A7%D9%84-%D8%A8%D8%AA%D8%B4%D9%8A%D9%86-%D9%85%D8 %B9-%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B1-2
19- Ali Al-Ibrahi, Investigative Journalism in Tunisia: Success Depends on More Laws and Legislations, International Journalists Networks, ijnet, accessed on May 09, 2022 https://ijnet.org/ar/story/%D8%A7%D9%84% D8%B5%D8%AD%D8%A7%D9%81%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D9%82%D8%B5%D8 %A7%D8%A6%D9%8A%D8%A9
20- Magda Al-Arami, Tunisia, Investigative Journalism after the Revolution, Al-Sahafa Magazine, published on September 28, 2017, accessed on 09/05/2022 at the link: https://institute.aljazeera.net/ar/ajr/article/415
21- Mahmoud Suleiman Alamuddin, and others, Controls of Security Journalistic Investigations - Journalistic Investigation as a Form of Interpretive and Investigative Journalistic Coverage, Riyadh: Naif Arab University for Security Sciences, 2010
22- Maria Teresa Ronderos, Three Basic Conditions for any Contemporary Investigative Journalist, Reporters for Investigative Journalism - ARIJ, published on 03/21/2022, accessed on the date of retrieval 04/15/2022 -: https://arij.net/materials /%D8%AB%D9%84%D8%A7%D8%AB%D8%A9-%D8%B4%D8%B1%D9%88%D8%B7-%D8%A3%D8%B3%D8% A7%D8%B3%D9%8A%D8%A9-%D9%84%D8%A3%D9%8A-%D8%B5%D8%AD%D8%A7%D9%81%D9%8A-%D8 %A7%D8%B3%D8%AA%D9%82%D8%B5%D8%A7%D8%A6%D9%8A-%D9%85/